﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ [الأحقاف: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تفويضُ العلمِ لله تعالى دليل الصِّدق وبرهان الرَّحمة

لمّا ذكر النَّظم الجليل استعجالهم العذاب بقولهم: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وكان طلبهم ذلك المقترن بالتَّحدِّي الجائر مقتضيًا الإتيان به على الفور؛ ناسب أن يُتبعه بجواب هود ﷺ بأنَّ العلم بوقت نزوله عند الله تعالى وحده، وأنّي لا أستطيع تعجيله[1]، فإنَّ تفويض الأمرِ لله تعالى أرسخُ في الجوابِ من الإيعاد المعيَّن؛ لأنَّه دليل الصِّدقِ، وبرهان الرَّحمة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَجۡهَلُونَ﴾: (جهل) أصله خلاف العِلمِ[2]، فالجهلُ نقيض العِلم، تقول: جَهِلَ فلانٌ حقَّه، وجَهِلَ عليَّ، وجهل بهذا الأمر، والجَهالةُ: أن تفعلَ فِعلًا بغير عِلْمٍ[3]، والعلم: تصوُّر الشَّيء بما هو عليه، أو تصديق لذلك، والجهل يقابله، والجهل ضربان: بسيط ومركب، وأقبحهما الثّاني؛ لأنَّ صاحبه يجهل، ويجهل أنَّه يجهل[4]، وهو على ثلاثة أقسام: الأوَّل خلوُّ النفس من العلم، هذا هو الأصل، والثّاني: اعتقاد الشَّيء بخلاف ما هو عليه، والثّالث: فعل الشَّيء بخلاف ما حقُّه أن يفعل[5]، والمراد به في الآية الكريمة: لا تعلمون[6].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 29، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 47.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جهل).
(3) الخليل، العين: (جهل).
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (جهل).
(5) الراغب، المفردات: (جهل).
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 115.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العلمُ بآجال العذاب لله تعالى، ووظيفة الأنبياء الإنباءُ

يقول الله تعالى حاكيًا جواب هود ﷺ لقومه؛ إذ قال لهم: إنَّما العلم بوقت مجيء العذاب الَّذي أنذرتكم به لله تعالى وحده، ولا علم لي به، وإنَّما أنا رسول الله إليكم، ما عليَّ إلّا أن أبلِّغكم عنه ما أرسلني به، ولكنَّكم قومٌ تجهلون، فتستعجلون العذاب، وتغفلون عمّا يراد بكم، وتجهلون أنَّ أمر العذاب هو من شأن الله تعالى[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّة فصل الآية عن السّابق:

فصل النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّها مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، فكأنَّه قيل: فبِمَ أجابهم على استعجالهم العذاب؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بأسلوب القصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ وموقعه البياني:

العلمُ بآجال الغيب لله تعالى وحده

عبَّر النَّظم الجليل بأسلوب القصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وهو قصر حقيقيٌّ[3]، جيء به للدَّلالة على نفي العلم بوقت العذاب عن نفسه، أي: لا علم لي بذلك[4]، فالله تعالى وحده يعلم متى ينزل ما توعدون به، ولا علم لأحد سوى الله[5]، وإيراد الرَّدِّ على طلبهم الإتيان بالعذاب من هود ﷺ بأسلوب القصر يدلُّ على تأكيد مضمونه، فانتفاءُ العلم بوقته عنه مؤكَّد، فبيَّن لهم أنَّ إتيان العذاب ليس من شأنه، وأنَّ ما عليه هو التَّبليغ[6].

---

(1) الواحدي، البسيط: 20/ 192، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 505.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 165 - 166.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 47.
(4) الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 34.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 166.
(6) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 300.

نوع (ال) في لفظ ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾:

العلمُ يحتمل المعهود والاستغراق

عرَّف النَّظم الجليل العلم بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وهي دالَّة هنا على العهد؛ إذ المرادُ به العلم بوقت العذاب الَّذي استعجلوه[1]، ويجوز أن يُراد به الاستغراق، أي: "العلمُ بجميعِ الأشياءِ الَّتي مِن جُمْلتِها ذلكَ"[2]، أي: إذا كان علمُ كلِّ شيءٍ عند الله تعالى؛ فإنَّ العلمَ بمجيءِ العذاب عنده كذلك.

دلالةُ استعمالِ ﴿عِندَ﴾ المجازيَّة:

العلمُ بالغيب قدرة مِن ملكِ الله تعالى

عبَّر النَّظمُ الجليل بالظَّرف ﴿عِندَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وهي هنا عنديَّة مجازيَّة، والمراد الدَّلالة على الانفراد بالعلم، فالله تعالى وحده العالم بوقت حلول العذاب[3]، فكأنَّ العلمَ محوز في مكان لا يطَّلع عليه أحدٌ.

نكتةُ التَّعبير بعنوان الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة:

الإلـهُ الخالق مطَّلع على الغيوب وحده

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ باسم الجلالة في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ من صفات الألوهيَّة معرفة الغيب، فالله تعالى هو المنفرد وحده بعلم الغيوب[4]، وهو المحيط بصفات الكمال، فالعلم بوقت حلول العذاب ونزوله لله تعالى وحده[5].

غرضُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّة الخبريَّة:

إنزالُ العلمِ مفوَّضٌ لله تعالى

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بالجملة الاسميَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك لأنَّهم لمّا قالوا: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، وهو طلب التَّعجيل بالعذاب، فأجابهم بأنَّه لا علم له بوقت حصول العذاب، إنَّما علم ذلك عند الله تعالى[6]، فهو تفويض بالعلم، وتأكيد للمضمون.

(1) الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 34.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 85.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.
(4) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 166.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 24.

نوع الواو ودلالتها في صدر الجملة:

وظيفة الدّاعي التَّبليغ، وآجال الغيب لله

افتتح النَّظمُ الجليل الجملة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾، وهي هنا اعتراضيَّة بين الجملتين، بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقوله عزَّ ذكره: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾[1]، جيء بها لبيان وظيفته المنحصرة بالتَّبليغ، أي: "وأمّا أنا؛ فإنَّما وظيفتي التَّبليغ"[2].

دلالةُ استعمال مفردة التَّبليغ:

التَّبليغُ إنذار وتعليم ودعوة

آثر النَّظمُ الكريم استعمال مفردة التَّبليغ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ دون الإنذار؛ لأنَّ الإنذار جزءٌ من التَّبليغ، والتَّبليغ أعمُّ، فوظيفته التَّبليغ عن الله تعالى، ومن ضمن ذلك التَّخويف من العذاب، فهو يبلِّغ بجميع ما أمره تعالى أن يخبر به قومه من الشَّريعة والتَّوحيد والإنذار[3]، ففيه إيماءٌ إلى رحمته بقومه وحرصه الشَّديد على إنقاذهم ممّا هم فيه، أي: أنَّه بُعِث مبلِّغًا أمرَ الله وإنذاره، ولم يبعث للإعلام بوقت حلول العذاب"[4]، وآثر التَّعبير بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على تجدُّد التَّبليغ ودوامه[5].

نوع ﴿مَّآ﴾ ودلالتها:

﴿مَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ اسم موصول[6]؛ جيء بها لتفخيم شأن الرِّسالة؛ وذلك لما في ﴿مَّآ﴾ من إبهام، فناسبت مقام التَّفخيم.

غرضُ التَّعبيرِ بالإرسال مادَّة وصيغة:

وظيفةُ الرَّسول التَّبليغ والإنذار لا تقرير الآجال

عبَّر النَّظم الجليل بالإرسال في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.
(2) القنوجي، فتح البيان: 13/ 31.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 166.
(6) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 191.

أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه محمَّل رسالة، وجاءت صيغة الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّق الإرسال ووقوعه، وبني الفعل للمفعول؛ لأنَّه من المعلوم أنَّه لا مرسل غير الله تعالى[1]، وإنَّما آثر البناء للمفعول هنا؛ لأنَّ السّياق في بيان وظيفته، فيكون الأهمُّ بيان أنَّه مرسل، لا أنَّه مرسل من معيَّن.

نوعُ الباء ودلالتُها:

استعمل النَّظم الكريم حرفَ الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ﴾، وهي في أصلها دالَّة على معاني الملابسة والإلصاق؛ لأنَّ النَّبيَّ لا ينفكُّ عن دعوته، ويمكن أن تكون هنا دالَّة على السَّببيَّة، أي: أبلِّغكم ما أُرسِلت لأجلِه من الإنذار والتَّوحيد.

نكتةُ حذف حرف الغاية:

بيانُ وظيفةِ الرِّسالة مقدَّمٌ على بيانِ المرسلِ إليهم

حذف النَّظم الجليل حرف الغاية (إلى) من فعل الإرسال في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ﴾، فلم يقل: (ما أرسلت به إليكم)؛ وذلك لأنَّ ما أرسل به ﷺ صالحٌ لكلِّ أحد[2]، كما أنَّه يُراد بيان وظيفته بأنَّه مرسل لا علم له بأجل العذاب، فيكون مطلق الإرسال هو المراد لا بيان من أرسل إليهم.

معنى الواو ودلالتها:

العلمُ ثابتٌ لله وحده والجهلُ واقعٌ المشركين

لمّا حصر العلم على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ عطف عليه نسبة الجهل للمخاطَبين: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ تقريعًا لهم وتوبيخًا، فلمّا آثروا العناد على الاستماعِ؛ استحقّوا مزيدًا من التَّقريع والتَّبكيت، ببيانِ واقعِهم الَّذي هم عليه.

فائدةُ (لكن) ودلالتها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الاستدراك في قوله جلَّ شأنه:

(1) الخطيب، السراج المنير: 4/ 14.
(2) الخطيب، السراج المنير: 4/ 14.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾؛ ردًّا على ظنِّهم بقدرة الرُّسل على إيقاع الموعود، فلمّا نسب العلم إلى الله تعالى على وجه الحصر؛ استدرك عليهم جهلهم بصفات الله تعالى وحكمة إرسال الرُّسل[1]، الَّذي أوقعهم بإنكار ما هو قريبُ الوقوع، وأفاد الاستدراكُ بيانَ حالهم من الجهل، بعد أن لم يصرِّح به؛ فنزَّل نفسَه منزلةَ من هو غير متأكِّد من واقعهم، ثم لمّا تأكَّد؛ أثبته استدراكًا؛ لقطع مطامع الرَّجاء فيهم.

عند انقطاعِ سُبُل الرَّجاء تظهرُ حقائق البلاء

نوعُ الرؤيةِ ونكتة استعمالها دون العلم:

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بلفظ الرُّؤية؛ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾، إشعارا لهم بأنَّ جهلهم ظهر ظهورًا تامًّا بحيث يكون محلًّا للرُّؤية[2]، بحيث إنَّ ظهورَ جهلِهم بيِّنٌ لكلِّ باصر.

ظهورُ الجهلِ بيِّنٌ لكلِّ باصر

غرضُ ذكرِ لفظِ ﴿قَوۡمٗا﴾:

آثر النَّظمُ الكريم ذِكرَ لفظ القوم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ ؛ لإظهار تمكُّن الجهالة منهم حتّى صارت من مقوِّمات قوميَّتهم، حيث إنَّها عمَّت جميع القبيلة[3]، وأنَّهم قاموا على الجهلِ بالله تعالى وبرسالاته وبرسله، وهذا من أفظع التَّشنيع على القوم.

من قامَ بالجهلِ؛ عوقِب به

دلالةُ التَّعبيرِ بالجهل مادَّة وصيغة:

عبَّر النَّظم الجليل بمفردة الجهل في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾؛ ليصفهم بالجهل لإصرارهم على الكفر وامتناعهم عن الهداية بما جاءهم به ﷺ من بيِّنات، ولأنَّهم طلبوا من الرَّسول ما ليس من شأنه، وهو الإتيان

الإصرارُ على الكفر في معرض الحجَّة والبيان غايةُ الجهل والخذلان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 481.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.

بالعذاب، كما أنَّ استعجال العذاب دون الإيمان والاتِّباع غاية الجهل[1]، وجاء التَّعبير بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على أنَّهم يوقعون الجهل على سبيل التَّجدُّد والاستمرار[2].

نكتةُ حذف متعلِّق فعل ﴿تَجْهَلُونَ﴾:

الجهل سلوكٌ لازمٌ للمعاندين وآثاره تعمُّ المكذِّبين

حذف النَّظم الجليل متعلِّق فعل (جهل) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾؛ ليكون تقديره مفعولًا عامًّا لكلِّ شيء[3]، أي: تجهلون عظمة الله تعالى وصفاته، وتجهلون ما يراد بكم من العذاب، وتجهلون أنَّ أمر العذاب هو من شأن الله تعالى[4]، فهو مبالغة في جهلهم؛ إذ إطلاقُ الجهل أبلغُ في إثبات شدَّته من تقييده بمجهول واحد، أو لتنزيل الفعل المتعدّي منزلةَ الفعل اللازم، أي: أنتم قومٌ جاهلون.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

البعث والإرسال:

الإرسال أخصُّ من البعث، فهو مخصوص بالرِّسالة

البعث أعمُّ من الإرسال؛ لأنَّه يجوز أن يبعث الرَّجل إلى الآخر لحاجة تخصُّه دون المبعوث إليه، كالصَّبي يُبعث إلى المكتب، فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأنَّ الإرسال لا يكون إلّا برسالة وما يجري مجراها[5]، وفي الآية آثر التَّعبير بالإرسال؛ لأنَّه بُعِثَ برسالة، فمعنى "الإرسال أنَّه تعالى حمَّله رسالة يؤدّيها"[6].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 24، والنيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 167.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 481.
(4) الواحدي، البسيط: 20/ 192.
(5) العسكري، الفروق، ص: 289.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 295، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/ 82.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"